وتبقى فتحة واحدة في السقف لايزيد قطرها عن ٣٠ سم فلنتصور ان الطقس شديد الحرارة كما هو الحال في الصيف في بلادنا حيث يتواجد ستة اشخاص قد لايجدوا متسعا للجلوس ، انفاسهم تملأ الزنزانة بعد وقت قصير ، والحر يطبق عليهم ، وعرقهم ينذ من اجسادهم دون انقطاع ، والضيق الشديد والضجر ، وسوء التهوية يحيط بهم من كل جانب ، والحال يستمر على هذا المنوال أياما لتكون الزنزانة أشد من الجحيم عليهم جميعا بحيث ان استدعاء احدهم للتحقيق معه في الاقبية ، ورغم اصناف التعذيب والتحطيم التي يتعرض لها ، يعتبر نقاهة بالقياس للوجود في الزنزانة القبر . واحيانا غرف التحقيق اكثر دفئا بما لا يقاس من الزنازين والمرحاض حيثما يحتجز المناضل في فصل الشتاء .. وبعد ذلك تجري المساومات . فالمعتقلون في الزنزانة لا يكفون عن دق الباب وطرقه طلبا للهواء ، والسجان يعطيهم بدلا من الهواء اللكمات والشتائم/ وربما يرشهم بالادوية المضادة للحشرات ذات الرائحة الكريهة النفاذة التي تزيد الامر سوءا عقابا لهم لمطالبتهم بفتح الباب او حتى (كوة) الباب التي قد يساعد فتحها على نشوء تيار من الهواء مهما كان بسيطا . ان الواحد من هؤلاء المعتقلين يفضل ان يخرج كل ساعة للضرب والجلد على يد السجان افضل مئة مرة من البقاء داخل الزنزانة الضيقة التي (لا ينفذ من جدرانها القاتمة ولا قطرة هواء واحدة) فكيف اذا احيط هذا المناخ بسيل من اصوات النشاز الرتيبة ؟!.

في هذا المناخ المحاط برائحة العرق المتزايدة نتانة ، والحاجة الماسة للهواء والحاجة الماسة جدا لقطرة ماء ، والماسة ايضا لمكان للجلوس او الوقوف او الاستلقاء على الظهر حيث يكون الاستلقاء والجلوس دوريا وفي نفس الوقت لا يرغب المرأ بالجلوس ولا بالوقوف ولا بالاستلقاء فهو مضغوط من كل جانب يحاصره الضيق وتعب الاعصاب والظلام الدامس والاوساخ المتراكمة هذا الوضع هو في

القساوة بحيث ان الخلاص منه الى اية وضع اخر كالانتقال من الجحيم الى جبال الانشراح .

خلال فترة كهذه ، والضيق الشديد يطبق على المناضلين في قبرهم الذي يقفل عليهم احياء ، ماذا يعتمل في نفوسهم ؟ وكيف يسعى الجلادون لابتزازهم او ابتزاز احدهم اذا كان واحدا منهم فقط هو المقصود والاخرين يعذبون معه ليخلقوا معه جو العذاب ؟

أن المحقق يحاول تكوين صورة واقعية بمجموعة من الافتراضات التي يعتقد انها تكون في نفسية ووضع المعتقل ، ويسعى للتعامل مع هذه الصورة تارة بالتشكيك وتارة بالارهاب أو بأي وسائل اخرى محيطا سلوكه هذا بدرجة كبيرة من الغموض والضرب والتعذيب بعد أن سعى لجعل الزنزانة جحيم ، والجلوس معه في قبو التعذيب جنة بالمقارنة .

وليس مستبعدا ان يضعوا في الزنزانة واحد او اثنين مدسوسين مع اربعة آخرين ليعيشوا حالة الضغط معا ، حيث يبدأ العملاء باظهار الضجر والملل كل لحظة والتفكير العلني بالخلاص من الزنزانة بالاعتراف مظهرين ذلك افضل من هذا الجحيم ويأخذون في نفث سمومهم متعاونين على خلق جو من التساقط ليسقط الاخرين . وقد لايكتفوا بالاقوال بل يثيرون المشاكل ويخلقوا بانفسهم جوا من التوتر والعصبية داخل الزنزانة وحينما يبلغ الجو ذروته ، يعلن احدهم مثلا عن استعداده للاعتراف بما لديه بغية الخلاص ويستدعي الشاويش بحركة تظاهرية ويطلب مقابلة المخابرات استعدادا للاعتراف لهم .. ويلين الاخر .

ومهما كانت الصورة التي تجري فيها اللعبة فانها لاشك تخلق مناخا صعبا وقاسيا وخاصة اذا لم يدرك المناضلون بالاساس احتمال كهذا ، حيث بدلا من شد أزر بعضهم البعض يثار جو من التفسخ والبلبلة الداخلية اضافة الى ما يخلقه وضع الزنزانة المخنوق من صعوبات